في سبيل الإصلاح

الأدباء الرسميـــــون

للأستاذ علي الطنطاوي

ما كان لي أن أعرض إلى هذا الموضوع بعد ما تكلم فيه الأستاذان الكبيران العقاد والزيات ، لولا أن في النفس منه أشياء . وإن آراء العامة فيه يمسها الضلال البين ، ويعوزها التقويم ؛ وإن من الناس من يدعي الأدب ثم يزن أهله بميزان الحكومة ، فيضع قيمتهم الأدبية في كفة ، ويضع في الكفة الأخرى درجتهم في (الوظيفة) ومبلغ ما يقبضون من مرتب . فالشاعر الذي يعلم في مدرسة ابتدائية ، لا يساوي بالشاعر المدرس في الثانوية ؛ والأديب الذي يعمل في تفتيش اللغة العربية أكبر من الأديب الذي يشتغل بالتدريس . أما الشاعر الذي جعلته الوزارة أو أصارته الأيام أول المفتشين ، فواجب وجوباً أن يكون شاعر الشرق كله ، أو شاعر العرب على الأقل الأدنى .. ويدللون على هذا المنطق السقيم بأن الحكومة لو لم تجده أعلم العلماء وأبرع الأدباء ما أحلته هذه المنزلة ؛ فالطعن في تقدمه طعن في الحكومة ونفي لحسن التقدير عنها ... وامتد هذا الجهل إلى الصحف ، فصارت تقدم من الأدباء من قدمته الحكومة ، وتكتب في رأس المقالة كما يكتب صاحبها في ذنبها ، ودرجة الوظيفة الحكومية التي يقوم بها ، كأنها هي الشهادة له بتمكنه في الأدب وعلو كعبه فيه ، وغدا من المستحيل أن يقدم شاعر مجوّد محسن ولكنه مدرس عادي ، على شاعر مفتش أو رئيس ديوان ولو كان دونه إحساناً وتجويداً ، كأن شعر الوزير في الشعر كشخص الوزير في الناس ، يتقدمهم ويعلوهم ولا يوزنون به ولا يتقدمون عليه . ومشى هذا المنطق السقيم وهذا الجهل البيّن في الناس ، حتى صار هو القاعدة المقررة والأصل الثابت ، وصار غيره هو الفرع الذي يحتاج إلى دليل ...

وما من أحد يدرك هذه العلة إدراك الأديب الموهوب الذي اضطرته الحاجة إلى (الوظيفة) وأجبره الكدح للعيش على أن يفكر برؤوس رؤسائه الفارغة لا برأسه هو ، فلا يكتب إلا ما يشتهون ، ولا يقول إلا ما يريدون ، وعلى أن يضع أدبه وذكاءه ومواهبه بين يدي مفتش قد يكون جاهلاً أو يكون مخطئاً أو يكون لئيماً ينتقم لغباوته وجهله من الأذكياء العلماء . والمدرس على ذلك كله ملزم باتباع رأيه والصدور عن مشورته . وإذا كتب ينقده في صحيفة أو يسمّع به في مجلس ، قامت عليه القيامة ونفي إلى أقصى الأرض ، أو أخرج من الوظيفة إخراجاً ، ثم لا ينصره عليه أحد لأن الناس قد استقر في أفهامهم أن المفتش أعلم وأبرع من المدرس ، ولا سيما إن كان دكتوراً أو كان أستاذاً في جامعة ، فإن مثله لا يأتيه الخطأ من بين يديه ولا من خلفه ، ولا عن يمينه ولا عن شماله ، ولا من فوقه ولا من تحته ... والمدرس يركبه الخطأ من جهاته الست لا لشيء إلا لأن مرتبه أقل ، ووظيفته أصغر ... ثم إن عندك الموظفين الجاهلين المتزلفين الذين يتقربون إلى المفتش الشاعر أو الرئيس الأديب بإذاعة فضله ،

وإن في حكمة أهل العراق ووفائهم ، وإن في هممهم وعزائمهم لضماناً للمستقبل الوضاء والمجد الباسم بعد هذه الخطوب المكفهرة والوقائع العابسة

بني قومنا تقسو الخطوب وتربدُّ ... ويُشرق في أعقابها الصبر والجد

وإن ظلام الليل يُعقب صبحه ... وبعد غروب النجم إشراقه يبدو

وبعد محاق البدر يبدو هلاله ... وبعد طلوع النحس يرتقب السعد

وبين ظلام النقع نصر منوّر ... لمن صابر الأهوال والبأس محتد

وعند اسوداد الغيم غيث ورحمة ... يقهقه في حافاتها البرق والرعد

وبعد بكاء السحب خصب ونضرة ... تضاحك من أزهارها النور والنجد

ومن بعد غيض الماء فيض لدجلة ... ومن بعد جزر الشط ينتظر المد

وفي كل خطب للفراتين دعوة ... إلى المجد في أعقابها النصر والحمد

فلا تجزعوا وارموا الخطوب بعزمة ... يذل لها الخطب العصيّ ويرتد

وسيروا إلى العليا من حول فيصل ... وأنتم له حصن وأنتم له جند

عبد الوهاب عزام

والثناء عليه ، ومنحه الألقاب جزافاً ، ويستمرون على ذلك ما استمر قاعداً على كرسيه لأنهم عبادصاحب الكرسي ... فتؤثر هذه (الدعاية) ـ على بطلانها ـ في نفوس الأغبياء ، وينال هذا المفتش الشاعر شهرة ومنزلة لم تقم على أدبه وإنتاجه ، وإنما قامت على أرجل كرسيه الأربع وألسنة أتباعه التي تشبه أرجل الكرسي ... وربما خدع التاريخ بهذه الشهرة ـ والتاريخ يخدع أحياناً ـ فانطمس الحق وعمت البلية ...

فما هو سبيل الخلاص من هؤلاء (الأدباء الرسميين) الذين يستغلون هذه الشهرة الزائفة وهذه المنزلة الكاذبة فيقيمون أنفسهم أو تقيمهم الحكومة مقام الأئمة من أهل الأدب ، فيرسمون للناشئين خططه ويضعون مناهجه ويملكون تحويله من وجهة إلى وجهة ، ويستطيعون أن يؤثروا في مستقبل الأدب بما أوتوا من السلطان ، وأن المدارس في أيديهم ، وأموال الدولة تحت إمرتهم ، تأثيراً لا يقدر على بعضه الأدباء غير الرسميين الذين لا يملكون إلا أقلامهم وعقولهم بل إن الأدباء الرسميين قد يستطيعون والحكومة من ورائهم أن يسخروا بعض الصحف لغاياتهم ومقاصدهم . ولو كان هؤلاء (الأدباء الرسميون) الذين تستخدمهم الحكومة وتثق بهم يختارون دائماً من ذوي المنزلة الرفيعة في الأدب وممن لهم فيه تمكن ورسوخ لهان الخطب؛ ولكنهم قد يكونون على الضد مما قلت؛ بل قد يسيِّر الأدب في وزارات المعارف من ليس بينه وبين الأدب رحم ولا قرابة - ... فإلى أين يسير الأدب في حالة مثل هذه؟ وكيف ندفع عن الأدب ذلك المصير المحزن؟

* * *

لقد أشار الأستاذ الكبير الزيات في فاتحة الرسالة (٣٠٥) إلى هذه المشكلة وإلى دوائها؛ فرأى أن دواءها العدول عن (السياسة التقليدية التي اتخذتها الوزارة إلى اليوم في نظام التأليف وطريقة التفتيش واختيار المدرس) وتطهير التعليم (من المفتش الذي يعاقب على نسيان الهمزة وذكر العرض ، والمؤلف الذي يؤلف بسر الجاه ونباهة الاسم). ثم إنه لابد بعد ذلك من تصحيح

من برجنا العاجي

الرأي الصريح الحر قوة ينبغي ألا تخلو منها أمة من الأمم الآخذة بأسباب الحضارة . ووجود هذا الرأي ألزم من وجود البرلمانات في ضمان العدالة والحد من طغيان السلطات؛ لأن هذا الرأي لا يتطرق إليه عادة ذلك الفساد الذي يشوب أعمال النظم السياسية والاجتماعية ، فهو صادر عن قلب حار نبيل قد ارتفع عن دنيا الأغراض والمجاملات

على أن المشكلة هي دائماً : كيف نعثر على هذا الرأي؟ قد نستطيع أن نعثر على العنقاء، ولكننا لن نستطيع أن نظفر في كل زمان بصاحب الرأي الحر الصريح . لماذا؟ لأن هذا المخلوق ينبغي أن يكون مركباً تركيباً مخالفاً لتركيب أغلب البشر . فلا بد أن يكون قد عرف كيف يستغني عن الناس ، وأن يكون قد وطن نفسه على أن يمضي في طريقه دون أن يعبأ بسهام الناس التي أصابت جسده . وألا يكون له عند أحد حاجة ولا مطمع . وأن يكون محباً للوحدة معتاداً العزلة ، قانعاً من الدنيا بأبسط متاع وأقل مؤونة . ذلك أن أول خطوة في هذا الطريق الوعر يصادفها صاحب الرأي الحر، هي فقد الأصدقاء والأعوان. ثم يلي ذلك تألب الجميع عليه ، لأنه لم يرض أحداً ولم يمالئ فريقاً ولم يعتصم بجاه جهة من الجهات ، ولم يستظل بقوة من القوى . إنه وحده منبع كل شيء . وهو بمفرده الواقف في وجه جميع القوى متضافرة . إنه قد يهزم وقد يتحطم وينهدم تحت ضربات الجميع ، ولكن راية الرأي الحر تبقى خفاقة في الهواء عالية مرفوعة في يده الميتة

حبذا لو كان لي هذا المصير العظيم! لقد أتاحت لي الظروف أن أطلق رأيي ذات يوم حراً في بعض الأمور فأحسست في الحال أني فقدت كل سند من كل جهة من الجهات ، ولم يعد لي صديق . ولم يبق حولي سوى عيون نارية تنتظر ساعة الانقضاض عليّ والفتك بي. غير أن كل هذا لم يزعجني . فلقد شعرت في عين الوقت أن في يدي شيئاً يخفق عالياً ، أدركت أنه هو وحده الباقي .

توفيق الحكيم

مقاييس الناس وإفهامهم أن قيمة الأديب بإنتاجه ومواهبه ، لا بوظيفته ومرتبه، وأن الأدب لا يقاس بهذه المقاييس الجامدة، ولا بد من التفريق بين شخصية المفتش والوزير الرسمية ، وبين شخصيته الأدبية ؛ فأنا أرعى للوزير حق مكانته ، وأعطيه كل ما ينص القانون على أنه حق له من الطاعة والاحترام . أما الوزير الأديب ، والمفتش الشاعر ، فإنهما عاطلان من هذه الحصانة ، معرضان للنقد ، أستطيع أن أدرس أدبهما وشعرهما كما أدرس أدب أى أديب وشعر أى شاعر، وأستطيع أن أحكم لهما أو عليهما، ولا يدخل فى حساب النقد وظيفة عالية ولا مرتب ضخم . وإذا اقترح الوزير اقتراحاً فى تعديل خطط التعليم ، أو رأى رأياً يتبعه أذى للأدب أو خوف على مستقبله ، فإنى أستطيع أن أناقشه وأرد عليه . وبغير ذلك لا تنمو المواهب ولا تثمر ثمرها ، ولا يزدهر الأدب ولا يعطى أكله . بقى أمر واحد وهو حماية هذا الموظف الأديب الذى ينقد ويبحث ، ويقوم بحق الأدب من غير أن يقعد عن حق الوظيفة ، حمايته من انتقام الرئيس ، وتشفى المفتش، ولا يكون ذلك إلا بقانون ينظم علاقة الرئيس بالمرءوس ، ويوضح لكل منهما ماله (بالضبط) وما عليه ، أما إذا بقى أمر المدرس بيد المفتش والرئيس ، وترفيعه وتنزيله تابع لرأيهما و (تقريرهما) ، فلا حرية فى البحث ، ولا ازدهار فى الأدب ، ولا استثمار للمواهب ، لأن المدرس لا يستطيع أن يضحى بوظيفة وهى سبيل حياته ومورد رزقه من أجل بحث أو فصل أدبى ، فيسكت على مضض ، ويتوالى سكوته ، فتموت قريحته ، وتذهب ملكته ، ولا يبقى فيه بقية لإنتاج . وإذا ذكرنا أن وضعنا الاجتماعى الشاذ ساق أكثر الشباب طوعاً أو كرهاً إلى وظائف الحكومة قدرنا مبلغ الخسارة الأدبية التى يُمنى بها الأدب ، ويبلغ الأذى الذى يصيبه به (الأدباء الرسميون) الذين يعملون عمداً وبغير قصد على تقييد حرية الأدباء ، وقتل المواهب ، وسد الطريق على الناشئين المتأدبين ...

... إن الأديب لا ينتج ولا يعمل إلا معتداً بنفسه واثقاً بها ، وهذه العزة وهذه الكبرياء الأدبية هما عدة الأديب ، فإذا خسرهما لم يصلح بعدهما لشىء . ومن تطرق حياة الموظف الصغير نظر مدقق ناقد ، رأى أنه لا يستطيع أن يجمع بين إرضاء رؤسائه وبين الشعور بهذه العزة الأدبية ، وما له فى فقد أحدهما بدّ ، وهو يؤثر (على الغالب) أن يفقد عزته الأدبية على أن يخسر وظيفته . وكم من موظف أديب نابغ معتد بنفسه ، رأى ألوان الإيذاء ، واتهم بالشذوذ والنشاز ، وعاداه صحبه ورؤساؤه ، لأنه لم يبع كرامة نفسه وعزتها بهذا المرتب القليل؛ وربما كان هذا الموظف المغضوب عليه ، المنسى المهمل ، من خير الموظفين علماً وكفاية وقياماً بعمله ، وحرصاً على الواجب عليه ... ولكنهم الرؤساء ، أولئكم (الأدباء الرسميون) ...

بغداد (الأعظمية)　　　　　　**على الطنطاوى**

* * *

حاشية : (تصويب) — جاء فى الفقرة الأولى من مقالى (يا غازى عليك رحمة الله) كلمة (طواها كف الموت) وواضح أن ذلك خطأ صوابه (طوتها كف الموت) فيرجى تصحيحها

وزارة الأوقاف

إعلان

تشهر وزارة الأوقاف بصفتها ناظرة على وقف المغفور له محمد توفيق نسيم باشا مزاد بيع ثمار حديقة الوقف المذكور بالهرم . وقد حددت للتزايد جلسة يوم الخميس ٨ يونيو سنة ١٩٣٩ بمأمورية أوقاف الجيزة بالدق من الساعة التاسعة صباحا إلى الساعة الواحدة بعد الظهر وشروط البيع موجودة بالمأمورية المذكورة — وبالوزارة «قسم الزراعة» «القلم التجارى» لمن يريد الاطلاع عليها . فعلى من يرغب فى المشترى الحضور بالجلسة المذكورة ومعه تأمين قدره ١٠٪ من مجموع عطائه . والوزارة حرة فى قبول أو رفض أى عطاء دون ابداء الأسباب .